في البدء كان الكلمة

للقديسين

باسيليوس الكبير

يوحنا ذهبي الفم

في البدء كان الكلمة

للقديسين

باسيليوس الكبير

و يوحنا ذهبي الفم

ترجمة ومقدمة

دكتور

سعيد حكيم يعقوب

اسم الكتاب : في البدء كان الكلمة

اسم المؤلف : للقديسين باسيليوس الكبير ويوحنا ذهبي الفم

اسم المترجم : د. سعيد حكيم يعقوب

الطبعة الأولى : مايو ٢٠١٦

رقم الإيداع : ٢٠١٦/١١١٠٢

اسم المطبعة : جي سي سنتر، مصر الجديدة

ت: ٢٦٣٣٨١٣٧

قداسة البابا توضرواس الثاني

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

فهرس المحتويات

القديس باسيليوس الكبير، أسقف قيصرية ٩

مقدمة ١٥

في البدء كان الكلمة ١٧

المعني الدقيق لعبارة في البدء:..... ١٧

بداية "الكلمة" ليست مثل باقي البدايات:..... ٢١

لماذا دُعيَ الإبن "بالكلمة": ٢٤

أين كان «الكلمة»؟..... ٢٨

الوجود الأزلي «الكلمة»:..... ٣٠

العظة الأولى

في البدء كان الكلمة

للقديس باسيليوس الكبير

القديس باسيليوس الكبير، أسقف قيصرية

ينتسب القديس باسيليوس إلى عائلة تقية جدًا، عُرف عنها الثراء الشديد. ولدينا تفاصيل كثيرة عن حياته على عكس الكثيرين من آباء الكنيسة. والعديد من القديسين المعروفين ينحدرون من عائلته. جدته تُدعى ماكرينا، وأمه تدعى أماليا، أما أبوه فيحمل نفس الاسم «باسيليوس». كما يُعد القديس غريغوريوس أسقف نيسس هو الأكثر شهرة بين اخوته وهم: القديس بطرس أسقف ساباستيا، والقديس نافاكراتيوس، واخته القديسة ماكرينا.

وُلد القديس باسيليوس في قيصرية كبادوكية سنة ٣٣٠م، حيث بدأ دراساته الأولى، في مدرسة للخطابة بالمدينة. ثم أكمل دراساته في القسطنطينية وأثينا، حيث تعرّف بالقديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات. وعاد إلى بلده سنة ٣٥٦م، وعمل لفترة قصيرة بالخطابة، إلاّ أنه ترك العالم وذهب إلى البرية لكي يستطيع أن يتعمق في الحياة الرهبانية.

هكذا تحوّل إلى الحياة التعبدية سنة ٣٥٧م، نتيجة يقظة روحية كتب يقول عنها: [لقد أضعت الوقت الكثير في الأمور الباطلة، وبعد أن قضيت كل شبابي تقريبًا في أتعاب باطلة وإنشغلت بتحصيل الحكمة التي جعلها الله جهالة (أنظر ١كو١: ٢٠). استيقظت فجاةً كمَن يستيقظ من سبات عميق. ثم أبصرت نور حق الإنجيل العجيب، وتحققت من تفاهة حكمة رؤساء هذا العالم، التي تبطل وتتلاشي (١كو٢: ٦). وسكبت دموعًا غزيرة على حياتي التعسة، وصليت طالبًا مَن يرشدني إلى طريق التقوى. فبدأت بالتوبة لأصلح طرقي التي كانت قد اعوجت من مصاحبة الأشرار. ثم بدأت أقرأ الإنجيل، وعرفت منه أن الوسيلة الهامة لبلوغ الكمال هي أن أبيع ما أملك وأوزعه على الفقراء، وأن أتخلى عن كل هموم هذه الحياة وألا أسمح لنفسي بأي تَعلّق بأمور هذه الحياة الأرضية] (Επιστολή 223, 2)

بعد ذلك قام بزيارة نساك معروفين في سوريا، وفلسطين، ومصر، وفي بلاد ما بين النهرين. إلاّ أنه فيما بعد رجع إلى وطنه واعتزل في مكان بالقرب

من موضع مولده. وهناك زاره القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات سنة ٣٥٨م، وكتبوا معًا الفيلوكاليا التي هى مقتطفات من أعمال أوريجينوس، وأيضًا كتبوا قوانين رهبانية لتنظيم حياة الرهبان، وقد ساعدت هذه القوانين في انتشار الحياة الرهبانية في هذه المنطقة. في حوالى سنة ٣٦٤م. رُسم القديس باسيليوس كاهنًا بيد الأسقف يوسابيوس القيصرى، ثم بعد ذلك خلفه كأسقف لقيصرية بعد ستة سنوات من هذا التاريخ، بل وصار رئيسًا لأساقفة منطقة بنطس.

نجح القديس باسيليوس في مقاومة محاولات الإمبراطور فالنس لفرض التعاليم الآريوسية الهرطوقية على الكنيسة، تلك التعاليم التي كانت تنكر ألوهية الابن المتجسد. ولأجل هذا السبب كان على إتصال دائم بالقديس أثناسيوس الرسولي، والبابا داماسوس في روما. وأيضًا حاول القديس باسيليوس أن يُنهى الإنشقاق الميليتى الذي تزعمه ميليتوس أسقف أسيوط، لكنه لم يتمكن من ذلك. أما في الحقل الإجتماعي فإن نشاط

القديس باسيليوس كان نشاطًا واسعًا. وبسبب الثراء الذي كان تتمتع به عائلته، تمكن من تأسيس مجموعة من المؤسسات للرعاية الصحية والاجتماعية لخدمة المحتاجين والمعوزين، كانت تحمل اسمه وهى المعروفة بـ (da¦basile). وتنيح القديس باسيليوس سنة ٣٧٩م. وتُعيّد له الكنيسة في ٦ طوبة.

تُصنَّف كتاباته إلى ما يأتى:

١ ـ كتابات عقائدية:

• ضد أفنوميوس، وهو كتاب مؤلف من ثلاثة أجزاء، وفيه يؤكد على وحدة الجوهر بين الأقانيم الثلاثة. وقد أُضيف إلى هذا العمل كتابين آخرين، كتبهما فيما بعد القديس ديديموس الضرير.

• عن الروح القدس وقد أرسله إلى أمفيلوخيوس، ودافع فيه عن ألوهية الروح القدس. وقد تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية إصدار المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية.

٢. نسكية:

له مجموعة قوانين نسكية تتألف من ٨٠ قانون وهى تعتمد على شواهد مختلفة من العهد القديم.

• كتب مجموعة موسّعة من الأسس التي تخص الحياة الرهبانية وهى تتألف من ٥٥ فصل، حول المبادئ العامة للرهبنة. وهذا العمل قد كتب من سنة ٣٥٩ حتى سنة ٣٦٢م.

• كتب مجموعة مبادئ تتألف من ٣١٣ فصل، وهى تختص بالحياة اليومية للرهبان.

٣. مقالات:

• كتب عدة مقالات عن ستة أيام الخليقة تدور حول خلقة الله للعالم (تك١:١ ـ ٢٦) (٩ عظات).

• عظات عن المزامير وهى ذات محتوى يساعد على البناء الروحى (١٨ عظة).

• كتب ٢٣ مقالة بعضها في أمور تخص السلوك المسيحى،وأخرى تتعلق بالإحتفالات الدينية، كتب أيضًا عن:

• أن الله ليس مُسببًا للشرور.

• عن الإيمان.

• ضد سابيليوس، وضد آريوس، وضد أفنوميوس وأتباعه.

٤ . رسائل:

حُفظت ٣٦٥ رسالة بعضها يحمل اسمه، والبعض الآخر منسوب له. وهى تتناول موضوعات متنوعة.

٥ . القداس الإلهى

المعروف بالقداس الباسيلي.

مقدمة

في هذه العظة يقدم لنا القديس باسيليوس واحدة من أهم شروحاته التفسيرية لنصوص العهد الجديد، والخاصة بالآية الأولى من إنجيل معلمنا القديس يوحنا البشير «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله» (يو١:١)، وفيها يتعرض للمعني الدقيق لعبارة في البدء، لأنه يرى أن هذه العبارة تقدم تعليمًا واضحًا عن لاهوت الإبن. فبداية الكلمة ليست مثل باقي البدايات. ثم يقول وإذا كان هناك من يُنادي بأن الإبن لم يكن موجودًا، طالما أنه وُلد في الزمن أو كيف وُجد قبل أن يولد؟ فما عليك إلا أن تتمسك بعبارة «في البدء كان الكلمة». هذا البدء يفوق كل إدراك، ويسمو على كل تفكير. فإن لم نبتعد عن كلمة « كان»، فسيمكننا حينئذًا أن نمنع الأفكار الخبيثة من العبور إلى أذهاننا. فكما أن البحَّارة يزدرون بالأمواج الهائجة، حين يعتمدون على مرساتين ثابتتين، هكذا نحن أيضًا سنسخر من الإضطرابات الخبيثة، التي تُثيرها الأرواح الشريرة، والتي تؤدي

إلى زعزعة إيمان الكثيرين، إن كنا نهتدي إلى الميناء المتحصن بيقين هذه الكلمات « في البدء كان الكلمة». لقد دَعَىَ القديس يوحنا الإنجيلي الإبن « بالكلمة»، لكي يُظهر الولادة من الآب بدون ألم، ولكي يُعلن الإتحاد اللازمني بين الإبن والآب.

تمت الترجمة عن النص اليوناني الأصلي الموجود في سلسلة آباء الكنيسة (ΕΠΕ) الصادرة في تسالونيكي سنة ١٩٧٣ المجلد رقم ٧ من ص٤٢- ٥٧.

أرجو أن يستخدم المسيح إلهنا هذا الكتاب لمجد إسمه، ولبنيان كنيسته، بصلوات الرسول بولس، والقديس باسيليوس، وصلوات كل الآباء المطارنة والأساقفة، وصلوات أبينا البطريرك البابا تواضروس الثاني، وللثالوث القدوس الآب والإبن والروح القدس المجد والإكرام والعزة والسجود إلى الأبد آمين .

في البدء كان الكلمة[1]

المعنى الدقيق لعبارة في البدء:

١. لكل كلمة في الأناجيل تميّز لا مثيل له في المعاني، أكثر مما للتعليم الأخر الذي وهبه الروح في العهد القديم. لأن الله كلّمنا في العهد القديم بهذه التعاليم عن طريق عبيده من الأنبياء، أما في الأناجيل، فالرب ذاته بشخصه هو الذي كلّمنا. وما يجذب الانتباه في بشارة الإنجيليين الأربعة، هو ما بشّر به يوحنا ابن الرعد[2]، الأعلى صوتًا. فقد تكلّم بأشياء تفوق كل سمع، وتسمو على كل فكر. ونعني بذلك ما يتعلق ببداية إنجيله، والذي سمعناه الآن: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله»[3]. وأنا على يقين بأن هذه الكلمات قد اندهش لها الكثيرون من الذين هم خارج نطاق الحقيقة التي نُعلّم بها، والذين يفتخرون

---

[1] يو ١ : ١.

[2] مر ٣ : ١٧.

[3] يو ١ : ١.

بحكمتهم العالمية[٤]، وهؤلاء قد شرعوا في خلط التعاليم في كتباتهم. لأن الشيطان سارق، وينقل تعاليمنا إلى المبشرين به[٥]. إذًا إن كانت الحكمة العالمية قد اندهشت كل هذا الاندهاش لقوة هذه الكلمات، فماذا ينبغي علينا نحن تلاميذ الروح القدس، إن استمعنا لهذه الكلمات بتراخٍ أو توانَ،واعتبرنا أن ما تحتويه من قوة، هو أمرًا يسير؟ هل هناك شخص بلا إحساس إلى هذا الحد ـ حتى انه أمام مثل هذه العقائد الإيمانية المليئة بمثل هذا الجمال والعمق ـ يصل إلى هذا المستوى من الغباء، ولا يرغب في التحرر والشفاء، ألاّ يُريد الفهم الحقيقي لهذه العقائد؟

بيد أن الأمر الأصعب ليس أن نندهش إزاء الأمور الحسنة، بل أن نصل إلى الفهم المستقيم. هذا الأمر صعب، وصعب أيضًا تحقيقه. فبالنسبة للشمس المحسوسة لا أتصور أن هناك مَن لا يمتدحها، من

---

[٤] من المحتمل انه يشير إلى الفلاسفة الافلاطونيين الجدد.

[٥] يُشير القديس يوستيسنوس إلى أن الشيطان ينقل للوثنيين النبوة اليهودية، بعد أن يُحرّفها (الحوار مع تريفو ٦٩-١).

حيث الإعجاب بحجمها، وجمالها، وتناسق أشعتها، والنور الذي تبعثه. أما من يجرؤ على النظر في قرص الشمس بطريقة فجائية، فإنه ليس فقط لن يرى ما يرغب في رؤيته، لكنه سيفقد الرؤية الدقيقة. يبدو لي أن شيئًا مثل هذا تُعانيه الرؤية الذهنية التي تشرع في البحث عن معان محددة للكلمات المشار إليها «في البدء كان الكلمة».

من ذا الذي يعرف القيمة التي تحملها عبارة «في البدء» ؟ وهل هناك كلمة قويه يمكن أن تُعبَّر بنفس القدر عن هذا المفهوم؟ لأن هذه العبارة (في البدء)، تقدم لنا التعليم عن لاهوت ابن الله، فليس هناك أي بداية أخرى قد أُعطيت «للكلمة» سوى هذه البداية التي هى بداية كل الأشياء.

الروح القدس يعرف الذين أهانوا مجد الابن الوحيد الجنس، فقد سبق واخبر عن هؤلاء الذين لديهم النية في مناقشتنا بطريقة سفسطائية، وهذه الطريقة قد ابتُدعت لكي تُدمر الذين يسمعوا لها. فهذه السفسطات تُنادي بأنه طالما أن الابن قد وُلد، فهذا معناه انه لم يكن موجودًا. وقد أتى من العدم

إلى الوجود[٦]. مثل هذا الكلام تتناوله الالسنة التي سُنّت أكثر من سيف ذو حدين، إذًا لكي لا يُسمح لأحد أن يتفوه بمثل هذا الكلام، سبق الروح القدس وقال: « في البدء كان الكلمة».

---

[٦] يقول ق.كيرلس في تفسيره إنجيل لوقا[فبينما يكتب المغبوط يوحنا البشير، في البدء كان الكلمة» يو ١.١ نراهم يقلبون كلاً من العقيدة الخاصة بالمسيح والإقتباس الدال عليها إلي العكس تمامًا، قائلين إن الكلمة الإبن الوحيد من الله، لم يكن في البدء، وليس الله نفسه، بل وأيضًا لم يكن مع الله، أي في إتحاد معه بالطبيعة، لأن غير المادي كيف يمكن تصور وجوده في أي مكان؟ هؤلاء المتوقحون يقولون إنه مخلوق، ويقيسون مجده بأن يرفعوه فوق المخلوقات بقدر ما تحمل اللغة من ثناء، وإذ يخترعون هذه العظمة المجردة والعارية يظنون أنهم يضعون شيئًا بحكمة أو حتى بتقوي، ولا يدرون إنه لو أعتبر لأي سبب أنه مجرد إبن مخلوق، فإنه يصبح من العبث إثبات أنه الله حقًا، وإن كان من أي جهة هو مخلوق، وطبيعته مشابهة للأشياء المخلوقة، فينتج من ذلك إنه كما يؤكدون لم يكن موجودًا في البدء، لأنه لا يمكن للمخلوق أن يكون بلا بداية. فكيف يقول الحكيم بولس إذن «الآب به عمل العالمين» عب ٢.١ فإذ كان مخلوقًا فلابد أن يكون له بداءة وجود، ولابد أنه قد كان هناك زمان سابق علي وجوده، وكان لابد أيضًا من وجود زمان لم يكن فيه الآب أبًا كما بدل إسمه، بل لم يكن علي الإطلاق أبًا بالطبيعة، ولذلك تكون الكلمة التي أتت إلينا بشأنه غير صحيحية وهكذا يصير أيضًا بالنسبة للإبن ويكون كلا الإثنان قد دُعيا هكذا كذبًا، كيف إذن يمكن أن تصدق قول الإبن « أنا هو الحق» يو ١٤:٦، نحن نؤمن بأن الإبن الوحيد كلمة الله، هو الله، وهو إبن الله بالطبيعة، وإنه غير مخلوق ولا مصنوع، بل هو خالق كل الأشياء، وليس سموه هكذا فقط، بل هو بالحري جوهريًا مع الآب عال فوق الكل. شرح إنجيل لوقا، للقديس كيرلس الإسكندري، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ص٣٠٦.٣٠٧.

بداية "الكلمة" ليست مثل باقي البدايات:

إن حَفظت هذا التعبير «في البدء»، فلن تُصاب بأي سوء من الذين يبتدعون الشرور. لأنه إن كان ذاك (أي آريوس) قد قال طالما أن الابن مولود، فهذا يعني أنه لم يكن موجودًا، فقل له «في البدء كان الكلمة». لكنه يتساءل، كيف وُجِد قبل أن يُولد؟ أما من جهتك أنت فلا تترك كلمة «كان»، وتمسك بكلمة «في البدء». فبداية البدء لا تُدرك، فليس هناك شيئًا خارج نطاق البدء. ينبغي ألاّ يخدعك احد بالمعاني الكثيرة التي تحملها كلمة «في البدء». لأن في هذه الحياة الحاضرة، توجد بدايات كثيرة للأشياء، لكن هناك بداية لكل الأشياء، تلك التي هي فوق كل البدايات. يقول سفر الأمثال: «بداية طريق الصلاح»[٧]. فبداية طريق ما هي الخطوة الأولى من حيث بدء المسيرة، والتي من الممكن أن نتابع استمراريتها. «وبدء الحكمة مخافة الرب»[٨]. فبالنسبة لهذا البدء، هناك بدء أخر يسبقه. لأنه

---

[٧]- أم ١٦ : ٧ (سبعينية).

[٨]- مز ١١١ : ١٠ و أم ١ : ٧.

بداية تعلم الفنون، هو التعليم التمهيدي. إذًا فمخافة الرب، هي التعليم التمهيدي للحكمة. لكن هناك ما يسبق هذا البدء، هو تأسيس نفس الإنسان الذي لم يتعلم الحكمة بعد، ولم يحيا في مخافة الله. لذلك تُسمىَّ السلطات السياسية، والمناصب العليا (بدايات أو رئاسات). ولكن هذه البدايات، هي بدايات لبعض الأشياء، وكل واحدة منها تُدرَك في علاقتها بشيء أخر. فبداية الخط هو النقطة، وبداية السطح هو الخط، وبداية الكلمة المكتوبة، هي الحروف.

٢- لكن هذا البدء (الخاص بالكلمة)، ليس مثل هذه البدايات. لأنه غير مرتبط بأي شيء. لا يُنسب لشئ آخر. هذا البدء هو بدء حر (من كل شيء) ولا يتسيد عليه أحد، ليس له علاقة بشيء آخر. الذهن لا يستطيع الوصول إليه، والأفكار لا يُمكنها أن ترتفع وتكتشف حدوده. فلو انك شرعت بخيالك الذهني أن تصل إلى البدء، ستجده يركض أمامك ويسبقك، ويستقبل أفكارك كسابق لها. أترك ذهنك أن يركض كما يُريد، وان يمتد إلى أعلى

نحو الأمور السمائية. ستجده بعد ذلك في حالة خداع أو ضلال شديد، وقد سار في مراع لا حدود له، ثم يعود مرة أخرى إلى نفسه، لأنه لن يستطيع أن يجعل البدء في مستوى إدراكه. إن البدء دائمًا ما يبقى خارج دائرة الأمور المدركة، وهو أسمى من كل المدركات.

«في البدء كان الكلمة» يالها من معجزة! كيف ارتبطت هذه الكلمات، الواحدة مع الأخرى بالتساوي. كلمة «كان» لها نفس القوة مع كلمة «في البدء». أين هو الذي يُجدف؟ أين اللسان الذي يُحارب المسيح؟ ذاك الذي قال: إن هناك وقتًا لم يكن الإبن موجودًا فيه. لتسمع الكلمة الإنجيلية «في البدء كان». فإن كان الكلمة موجودًا منذ البدء، فما هو الوقت الذي لم يكن موجودًا فيه؟ إني أتنهد لهذا الكفر وأشمئز من جهلهم، فهم يقولون أنه لم يوجد، قبل أن يُولد، هل تعرف متى وُلد، لكي تستطيع أن تحدد الزمن؟ لأن كلمة - قبل - هي ظرف زمان، يضع شيئًا قبل شيء آخر حسب القِدم. كيف يكون من الصواب أن نُخضع

ميلاد خالق الزمن للقياس الزمني؟ إذًا «في البدء كان». فإن لم تبتعد عن كلمة «كان»، فسيمكنك حينئذًا أن تمنع الأفكار الخبيثة من العبور إلى ذهنك. لأنه كما أن الملاحين أو البحَّارة، يزدرون بالأمواج الهائجةحين يعتمدوا على هلبين أو مرساتين ثابتين، هكذا أنت أيضًا ستسخر من الإضطرابات الخبيثة التي تنشأ بواسطة الأرواح الشريرة، والتي تؤدي إلى زعزعة إيمان الكثيرين، إن كنت تهتدي إلى الميناء المتحصن بيقين هذه الكلمات.

لماذا دُعيَ الإبن "بالكلمة":

٣ - لماذا يُدعَي الإبن «بالكلمة» هل يبحث فكرنا عن مَن هو ذاك الذي «كان في البدء» ؟ يقول القديس يوحنا الإنجيلي إنه «الكلمة». أية كلمة؟ هل هو الكلمة الإنسانية، أو كلمة الملائكة؟ لأن الرسول بولس يُشير إلى أن الملائكة لهم لغة خاصة، إذ يقول: «إن كنت أتكلم بالسنة الناس

والملائكة»[٩]. بل إن معنى الكلمة أيضًا، هو معنى مزدوج. لأن هناك كلمة تُنطق بالصوت والتي تَتَبدد في الهواء على الفور بعد نطقها. وهناك كلمة أخرى توجد في النفس لأنها موجودة داخل القلب، هذه الكلمة ذهنية. يجب أن تنتبه لئلا تخدعك مرادفات الكلمة. لأنه كيف تكون الكلمة الإنسانية موجودة من البدء، طالما أن الإنسان قد اخذ بداية وجوده في لحظة ما هنا على الأرض؟ وقبل الإنسان كانت توجد الحيوانات المتوحشة. وكل الزواحف، وكل الحيوانات البرية، وكل الحيوانات البحرية، وكل طيور السماء، وكل النجوم، والشمس، والقمر، والأعشاب، والبذور، والأرض والبحر، والسماء.

إذن الكلمة الإنسانية لم توجد من البدء، ولا كلمة الملائكة .كل الكون هو لاحق للدهر، لأنه اخذ بدايته من الخالق .والكلمة التي هي داخل القلب، هي أسمى من كل الكلمات المفهومة أو المدركة .أتكلم من أجلك، إذ أن الابن وحيد

---

[٩] اكو ١٣ : ١.

الجنس، قد دعاه القديس يوحنا "بالكلمة" .كما دعاه مباشرة فيما بعد، بالنور، والحياة، والقيامة . وكما أنك حين تسمع كلمة نور، لا تتجه إلى ذلك النور المحسوس للأعين، ولا حين تسمع كلمة حياة، تفكر في هذه الحياة المشتركة التي تحياها الحيوانات غير العاقلة، هكذا عندما نسمع عن "الكلمة"، عليك أن تنتبه إلى أنك ربما بسبب الضعف الذهني، تنتهي إلى معان وضيعة ودنيئة .إذن ينبغي أن تفحص معنى الكلمة .

لكن لماذا دعاه القديس يوحنا الإنجيلي "الكلمة"؟ لأنه وُلد بدون الم .لماذا دعاه "الكلمة"؟ لأنه صورة ذاك الذي ولده، واتحد به بشكل تام وكامل،ولم يُقطع من الذي ولده، بل هو له الوجود الكامل في ذاته، مثلما هو الحال فيما يتعلق بكلمتنا، فهي تُصوّر كل ما يجول بفكرنا بالكامل. أي أن تلك الأمور التي نفكر فيها في قلوبنا، هذه ننطق بها بواسطة كلمتنا، وهذا الذي ننطق به، هو صورة لفكرنا الذي يوجد داخل القلب. لأن من فضلة القلب يخرج الكلام. وقلبنا كأنه نبع

ماء، والكلمة المنطوقة كأنها مجرى ماء، ينساب من هذا النبع. إذًا على قدر ما هو كائن ذلك الذي يُصدر أو يبعث (الشيء)، بقدر ما يطفو على السطح ما هو في الداخل. ومن حيث أن ما هو مختبئ أو مُختفي، هو أمر منطقيًا أو عقليًا، فإن ما يظهر على السطح سيكون منطقيًا أيضًا.

إذن لقد دَعَى القديس يوحنا الإنجيلي الابن «بالكلمة»، لكي يُظهر الولادة من الآب بدون الم، ولكي يشرح لك - لاهوتيًا - الوجود الكامل للابن، ولكي يُعلن بهذا عن الإتحاد اللازمني بين الابن والآب.

من ناحية أخرى فإن كلمتنا، التي يلدها الذهن، تُولد بلا الم، أي أنها لا تتجزئ، ولا تنقسم، ولا تُراق، بل ويبقى العقل بكاملة في ذات كيانه يُنتج أو يُصدر الكلمة كاملة وبكليّتها. والكلمة التي تخرج تحوي داخلها كل قوة الذهن الذي ولدها.

إذن فلفظة «الكلمة» تجعلنا نفكر في كل ما هو مملؤ عدل، وحق، وقداسة، كل ما يخص لاهوت الإبن الوحيد. أما إذا تصادف وكان هناك أمر غير

ملائم وغير لائق، فأتركه وتجاوزه بكل الطرق. فإن كان قد قال «في البدء كان الابن»، فإن مجرد ذكر الابن، معناه التفكير في الولادة بالألم أيضًا.لأنه بالنسبة لنا - الذي يُولد هو مولود في الزمن، وهذه الولادة يُصاحبها ألم، ومن اجل هذا سبق القديس يوحنا وقال «في البدء كان الكلمة»، لكي يُصحح مُسبقًا الأفكار غير اللائقة، ولكي يحفظ نفسك بلا عثرات.

أين كان «الكلمة»؟

٤- «والكلمة كان عند الله»[١٠]. هنا أيضًا يذكر كلمة (ἦν) أي كان، وهي تُقال لأولئك الذين يجدفوا بقولهم إن » الابن «لم يكن موجودًا .أين كان الكلمة؟ بالتأكيد لم يكن موجودًا في مكان ما .لأن غير الموصوف لا ينحصر في مكان،ولكن أين كان؟ كان عند الله .لأن الآب لا يوجد في مكان مُحدد، ولا الابن يحتل منطقة معينة يمكن أن تخضع للوصف، بل أن الآب لا

---

[١٠] يو ١: ١.

يُحَد، والابن أيضًا لا يُحَد .كل شيء يمكن أن تُدركه، وأن تتجول فيه بروحك، ستجده مملوءً بالحضور الإلهي .الإبن موجود في كل مكان، وفي كل شيء، ستجد حضوره مُمتدًا في كل هذا، وفي نفس الوقت أيضًا .

"والكلمة كان عند اللّه" يجب أن تتعجب لدقة كل كلمة، فهو لم يقل "والكلمة كان في اللّه" لكنه قال "عند اللّه"، قال هذا لكي يعرض للملمح الخاص بالاقنوم .لأن تجديف هؤلاء المنحرفين، هو تجديف خبيث، أولئك الذين بدأوا في خلط كل الأشياء، والذين يقولون إن الآب والابن والروح القدس هم واحد، لكنهم ينسبون إلى هذا الواحد أسماءً مختلفة[11]. إنه جحود شرير، ويمكن تجنّبه، ولكن لا يمكن تجنّب الذين يجدفون قائلين أن ابن

---

[11] ويقصد بهؤلاء، سابيليوس وأتباعه، الذين نادوا بأن الله يظهر تارة كأب، وتارة كابن، وتارة باعتباره الروح القدس، ثلاثة أسماء لشخص واحد. في هذا الصدد يؤكد القديس كيرلس الأسكندري في شرحه لإنجيل يوحنا أن في كلتا العبارتين «في البدء كان الكلمة» «والكلمة كان عند الله»، أن القديس يوحنا الإنجيلي قد استخدم فعل «كان» لضرورة تأكيد أن ميلاده كان أزليًا. وبقوله «والكلمة كان عند الله» أكد أنه متمايز وأقنوم آخر غير أقنوم الآب الذي معه الكلمة». شرح إنجيل يوحنا ج١،للقديس كيرلس الأسكندري، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ص٢٢.

الله هو مُغاير لله الآب بحسب الجوهر[١٢]. «والكلمة كان عند الله»، بعد ذلك يتعرض في نفس الوقت لتوضيح معنى لفظة «Λόγος» «الكلمة»، لكي يعرض للولادة التي بلا الم (أى الولادة من الآب قبل كل الدهور)، ويُبطل على وجه السرعة ما قد يترتب على الاستخدام المنحرف للفظة «الكلمة». ويَنيءَ به عن إفتراء المجدفين، ماذا يقول القديس يوحنا البشير عن «الكلمة»؟ يقول «وكان الله الكلمة». أرجو أن لا تبتدع معانً مختلفة، حتى لا تنسب ـ بسبب الأفكار الشريرة ـ تجديفاً للتعليم المنقاد بالروح القدس، فلك حرية اتخاذ القرار، لكن ينبغي عليك أن تخضع للرب.

الوجود الأزلي «الكلمة»:

«وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله»[١٣].

---

[١٢] يُشير في هذه العبارة إلى الأنوميين.

[١٣] يو ١ : ١-٢.

مره أخرى يُلخص كل التعليم اللاهوتي بكلمات قليلة، هذا ما يُقدمه لنا القديس يوحنا البشير عن الابن وحيد الجنس. فمن هو هذا الابن؟ إنه الكلمة الإله، وبعدما صاغ المعنى أو المغزى المتعلق «بالكلمة»، بأن رسَّخ مثل هذا المعنى في نفسك بواسطة هذا التعليم، وأسكن «الكلمة الإبن المتجسد في قلبك»، بعد ذلك نجده يقول «هذا»، من هو هذا؟ لا تنظر خارجًا، افحص بعناية، ما تُعلنه لك كلمة «هذا» وأدخل إلى خبايا نفسك، لكي تعلم أن «هذا»، موجود «في البدء»، أي أن ذاك الذي أتى هو «الكلمة»، الذي كان عند الله، هذا يجب أن تعرفه، وتتعجب لأعماله، وتسجد له، هذا الذي يُقيم فيك بتعليمه، ينبغي أن تعرف أن هذا «كان في البدء»، فهو دومًا عندالله أبيه. أرجوكم أن تحفظوا هذه الكلمات القليلة، بأن تطبعوها كختم في ذاكرتكم. هذه الكلمات هي حائط منيع ضد أولئك الذين يحيكون المكائد. هذه الكلمات تحفظ النفوس، وتُخلّص أولئك الذين يُعلّمون بها. فلو اقترب منك احد وقال لك، إن الابن وُلد، وهذا يعني أنه لم يكن موجودًا، فإذا كان موجودًا، فكيف

وُلد؟ فعليك أن تصد التجديف الذي يوجه ضد مجد الابن الوحيد الجنس، وكأنه صوت الشيطان. ولُتردد أنت الكلمات الإنجيلية «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله». لتقل للمرة الرابعة كلمة (ἦν كان)، وستُبطل حجتهم التي تنادي بأنه لم يكن موجودًا .

إن أساسات الإيمان هذه ستبقى ثابتة، ويُمكننا أن نبني فوق هذه الأساسات، طالما أن الله يسمح لنا بالاستمرار في تكميل باقي البناء. لأننا لا نستطيع أن نقول لكم كل شيء مرةً واحدة، حتى لا نُبطل تلك الأمور التي جنيتموها، إذا ما توسّعنا في الكلام بشكل كبير. لأن الذهن لا يستطيع أن يستوعب كل الأشياء معًا، وهو يُعاني نفس الشيء الذي تُعانيه المعدة، فهى لا تستطيع أن تهضم بشكل طبيعي وجيد، بسبب الإفراط في كمية الطعام التي دخلت إليها. إن ما ارجوه لكم أن تتمتعوا بمذاقة الكلام، وان تنتفعوا بكل طعام روحي. أما من جهتي فأنا أقف مستعدًا لأجلكم، كي أُقدم لكم

ماتبقى، بمعونة ربنا يسوع المسيح الذي يليق به كل المجد والقوة والكرامة إلى أبد الآبدين أمين.

العظة الثانية

في البدء كان الكلمة.

(ضد الذين يحرّفون الكلمة)

للقديس يوحنا ذهبي الفم

فهرس المحتويات

المقدمة ٣٩

I . القديس يوحنا ذهبي الفم ٤٢

في البدء كان الكلمة ٤٩

ولادة الكلمة ٤٩

الروح يفحص كل شيء ٥١

يمين القوة ٥٤

الذين يحرّفون الكلمة ٥٧

تعاليم هرطوقية ٦١

سمات الطبيعة الإلهية ٦٥

المقدمة

كان الدافع لألقاء هذه العظة التي تحدث فيها القديس يوحنا ذهبي الفم عن ولادة الكلمة منذ البدء، هو تلك الأفكارالمنحرفة التي أطلقها الهراطقة، وحرّفوا بها المعنى الحقيقي لعبارة " في البدء كان الكلمة". هؤلاء قد ساروا في طريق الضلال والخداع، لينكروا إلوهية الكلمة، وإلوهية الروح القدس، وإعتبروا أن الروح القدس مخلوق. لذلك فقد أكدَّ القديس يوحنا ذهبي الفم على أن عبارة " كل شيء به كان" لا تشمل الطبيعة غير المخلوقة التي للروح القدس، مُشيرًا إلى قول الرسول بولس بأن " أمور الله لا يعرفها إلا روح الله"، فروح الله ليس مختلف عن طبيعة الله"، وأيضًا قوله: "الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله".

فالروح القدس هو الذي يجدَّد الطبيعة الإنسانية، ويلدنا من جديد، لأن تجديده سريع، ولا ينتظر زمنًا، ولا يتحين فرص، ولا ينتظر أجيال.

وبناء على ذلك يقول القديس يوحنا ذهبي الفم لا تجزئ الطبيعة غير المجزئة، ولا تقسم الجوهر غير المنقسم، فالآب والإبن والروح القدس، هم واحد.

ولذلك يُحذِّر أبناء الكنيسة من هذه الضلالات، وخداع الشياطين، لأن هذه الأفكار الهرطوقية تقود إلى هلاك الكثيرين.

ومن أجل هذا يعلن غضبه في مواجهة هذه الأفكار الخدَّاعة الباطلة، ويتساءل مَن ألقى بكرازه الإيمان الحقيقي إلى خارج الكنيسة، وحمل تعاليم الهراطقة إلى الداخل. فالذي يقبل الآب، ويرفض الإبن، لن ينتفع بشيء، وكذلك مَن يقبل الإبن وينتقص من عمل الروح القدس، سيفقد الحياة الأبدية، لذلك فإن اليهود الذين قبلوا الآب، ورفضوا الإبن، فقدوا الحياة الابدية. هكذا فإن مَن يُجدِّف على الروح القدس، يجدّف على الله الذي أرسله.

إن هذه الهرطقات، هي نتاج فكر إنساني مُنحرف، وليست من الله، ولذلك يجب أن يُقدَّم التعليم اللاهوتي على قاعدة التقليد الكتابي الذي

يحوي الإعلان الإلهي، وخطة الله التدبيرية من أجل خلاص جنس البشر، ويعرف ذلك كل مَن نال إستنارة الروح القدس، وصار هيكلاً حقيقيًا له.

ليبارك المسيح إلهنا هذا العمل لبنيان كنيسته، وإعلان مجده في كل مكان، بصلوات والدة الإله العذراء القديسة مريم، وصلوات كل آبائنا القديسين، وصلوات القديس يوحنا ذهبي الفم، وصلوات قداسة البابا المعظم الأنبا تواضروس الثاني، ولإلهنا القدوس كل مجد وإكرام إلى الأبد آمين.

I ـ القديس يوحنا ذهبي الفم

وُلد القديس يوحنا ذهبي الفم في مدينة أنطاكية سنة ٣٥٤م، في عصر استشرى فيه الفساد وانتشرت فيه الآثام والمعاصي، حيث كانت تشيع فيه روح البذخ والتنعم والافتخار بالثروة، وامتلاك القصور والعبيد والإماء، والانهماك في الشهوات والملذات. وكان القديس يوحنا ذهبي الفم يراقب كل هذا عن كثب، وكان يرى أن هذا المناخ لن يُفرز إلا تقسيمًا للمجتمع على أساس طبقي، وتمييزًا بين الأغنياء والفقراء، وإتساعًا لمساحة الظلم الإجتماعي، ولذلك فقد جاهد لرفع هذا الظلم، وإزالة هذه الفوارق الإجتماعية المعية، وكرّس حياته لنشر كلمة الإيمان، وتحقيق حياة الفضيلة، والسعي في خلاص النفوس بلا فتور. وفي كل هذا لم يكن يخشى أحدًا مهما كانت مكانته، بل إنه هاجم أباطرة بسبب سلوكهم غير المستقيم، وأيضًا لم يكن يتردد لحظة في مقاومة الظلم مهما كلفه هذا من متاعب، ولم يثنيه الاضطهاد عن التشبث بالحق والتمسك بمبادئه.

كان والده قائدًا للجيش، أما أمه وتدعى "أنثوسا" فقد ترملت في سن مبكر جدًا، وقد رفضت هذه الأرملة الشابة التقية الزواج مرة أخرى وكرّست كل حياتها لتربية يوحنا تربية روحية مستقيمة. وكان لهذه النشأة الروحية أكبر الأثر في حياته فيما بعد. فقد مارس حياة النسك فعليًا حتى أثناء تواجده مع أمه، لكن بعد انتقالها، ترك منزله وتوجه إلى البرية ليقضى ٤ سنوات في النسك إلى جوار ناسك سوري، ثم قضى سنتين بمفرده في احدي المغائر في جبال أنطاكية. إلا أن تدهور حالته الصحية أجبره على العودة إلى المدينة (أنطاكية). وقد تعمق في العلوم اللاهوتية أثناء فترة تنسكه تعمقًا كبيرًا، ظهرت نتائجه في تعاليمه اللاهوتية حتى أنه لُقب بذهبي الفم[١٤].

في عام ٣٨١م رسم شماسًا بيد الأسقف ميليتيوس، وفي هذه الفترة كتب عدة كتب منها:

١. ضد اليهود،

14

Δ.Γ.Τσαμης. " Εκκλησιαστική Γραμματολογία ". Θεσλνίκη 1992, σελ.163-164.

٢. ضد يوليانوس والأمم،

٣. عن البتولية،

٤. رسالة تعزية إلى أرملة شابة،

٥. الدفاع عن الرهبنة،

٦. الزواج ينبغي أن يكون مرة واحدة،

٧. ثلاثة رسائل إلى الراهب ستاجيريوس[١٥].

وفي عام ٣٨٦م رسم كاهنًا، ومن هذه اللحظة بدأ خدمته الحقيقية ونشاطه المكثف، وصارت له شهرة واسعة، حيث ذاع صيته من خلال عظاته المتميزة وقدرته على الخطابة. ولم تقتصر خدمته فقط على عمله الوعظي والتبشيري، لكنه انشغل أيضًا وبشكل أساسي بأعمال الرحمة في خدمة الفقراء والمعوزين، ولهذا فقد كرّس جزءً كبيرًا من حياته في خدمة كل مَن له احتياج، الأمر الذي جعله محبوبًا جدًا في كل أنطاكية. وقد عاش حياة متقشفة، وكان ملبسه خشنًا ومأكله بسيطًا، وكان يدوام على افتقاد الفقراء في بيوتهم ويزور

[15] Palladuis 5.

المرضى والمسجونين ليخفف من آلامهم، وقد أكد بهذا السلوك على أن الحياة التعبدية لا يمكن ولا ينبغي أيضًا أن تكون في عزلة عن الحياة العملية، وبمعنى آخر لم تكن التقوى عنده بديلاً عن العمل.

في عام ٣٩٧م - وبأمر من الإمبراطور أركاديوس - ذهب إلى القسطنطينية، لتقلد الكرسي البطريركي، فقد أجمع القسوس وكل الشعب على تزكيته لهذا المركز الرفيع على غير رغبته. وقام برسامته البابا ثافيلوس الأسكندري سنة ٣٩٨م. ومنذ ذلك الحين عاد النظام إلى بطريركية القسطنطينية، فاعتنى بالحياة الروحية للمؤمنين وكثف من عمله التبشيري ونجح في ضم كثيرين من الهراطقة والوثنيين إلى الطريق الأرثوذكسي القويم. وبسبب استقامة رأيه وجرأته في الحق، تصادم مع كثيرين منهم الإمبراطورة أفذوكسيا والوزير الأول في الإمبراطورية أفتروبيوس. وقد وُجهت له اتهامات عديدة وأُجبر على النفي ولكن بسبب زلزال أصاب المدينة (القسطنطينية) - قال البعض إن هذا قد حدث بسبب نفيه - فأمرت الإمبراطورة بعودته من المنفى.

لكن بعد شهرين من عودته اختلف مرة أخرى مع أفذوكسيا، وأُقتيد إلى المنفى، وكانت أول محطة له هي مدينة كوكوسوس الأرمنية، وبعد وقت قليل صدر أمر آخر بإرساله إلى مدينة بيتوندا في الضفة الشرقية للبحر الأسود. لكنه لم يصل إلى هناك لأن الطريق كان طويلاً وشاقًا. وبسبب المتاعب الكثيرة والمعاملة السيئة التي لاقاها، تنيح في الطريق سنة ٤٠٧م[١٦].

وتحتفل الكنيسة بتذكار نياحته في ١٧هاتور ٢٧نوفمبر.

كتابات القديس يوحنا ذهبي الفم:

القديس يوحنا هو من أكثر الآباء إنتاجًا، حيث تقع مؤلفاته في ١٧ مجلدًا في مجموعة الآباء باللغة اليونانية (П.Г. 47-64). وقد تنوعت كتاباته بين:

عظات تفسيرية:

+ سفر التكوين: ٨ عظات، تشكل تفسيرًا شاملاً للسفر.

---

[١٦] المرجع السابق، ص١٦٥.

+ شرح المزامير: ٥٨ مزمورًا.

+ سفر إشعياء (٦ عظات).

+ إنجيل متى (٩٠ عظة)، تشكل تفسيرًا كاملاً.

+ إنجيل لوقا (٧ عظات).

+ إنجيل يوحنا (٨٨ عظة).

+ أعمال الرسل (٦٣ عظة).

+ عظاته على رسائل القديس بولس وهى تشكل نصف عظاته تقريبًا وتشغل الرسالة إلى رومية النصيب الأكبر من هذه العظات.

كتابات عقائدية:

+ ضد الأنوميين ١٢ عظة خُصصت للحديث عن الطبيعة الإلهية غير المدركة (Ἀκατάληπτο τῆς θείας φὺσης)

+ ١٢ عظة " للمعمدين الجدد".

+ ٨ عظات " ضد اليهود".

عظات في موضوعات متفرقة:

+ عن الرحمة.

+ عن المجد الباطل وكيفية تربية الأولاد.

+ ثم عظات عن الكهنوت (٦ كتب عن سمو الكهنوت والمواهب والواجبات التي ينبغي توافرها فيمَن يتقدمون لنوال سر الكهنوت).

+ عن الحياة الرهبانية.

+ عن الزواج والبتولية

عظات في الأعياد والمواسم:

+ عن ميلاد المخلّص.
+ عن الظهور الإلهي.
+ عن عيد الخمسين.
+ عن صلب المخلّص.
+ عن القيامة.
+ عن الصعود.

+ ثم عظة عن خيانة يهوذا.

مديح للشهداء والأبرار القديسين:

مثل أيوب، المكابيين، الشهداء الأساقفة القديسين، القديس بولس.

رسائل:

+ كتب ٢٣٦ رسالة ومعظمها أُرسلت من المنفى.

+ ١٧ رسالة إلى الشماسة أولمبيا والتي كانت تعاونه في خدمته.

في البدء كان الكلمة

(وضد الذين يحرّفون الكلمة)

ولادة الكلمة

لقد إختتمنا حديثنا بالأمس بالإشارة إلى النسر العظيم، وهو بالحقيقة نسر عظيم، وقد تجاوز السماء بالروح، بل وتجاوز كل القوات السمائية، وبدأ من القمة التي تعلو على كل شيء. لأن يوحنا بشَّرنا من قبل قائلاً: " فِي الْبَدْءِ كَانَ **الْكَلِمَةُ** "[١٧]. وتناول بحكمة كبيرة الحديث عن الطبيعة غير المخلوقة، وقد إرتفع فوق كل الخليقة، بإمكانيات وقدرات تتخطى قدرات النسر، تجاوز صوت الرعد، لأنه هو وحده الذي كرز بالحكمة السماوية. فصوت الرعد أيها الأحباء، يُخيف ويدعو للذهول من خلال ما يُحدثه من أصوات مُدوّية، وفي ذات الوقت يُسقط مطرًا عند تصادم السحب.

إذًا فقد توزع صوت يوحنا، من ناحية ليروي الكنيسة، ومن ناحية أخرى ليثير الذهول والحيرة في

---

[١٧] يو ١:١.

مجمع الهراطقة. لأنه عندما تكلَّمت الأعين، وعُرِفْت الحقائق، لم يتجرأوا أن يعترفوا بها كحقائق، بل تجيَّشت الأصوات الإنسانية الصاخبة ضد الكتب الإلهية. وحينئذً صرخ القديس يوحنا، قائلاً " في البدء كان **الكلمة والكلمة** كان عند الله وكان **الكلمة** الله"، أثار بصوته، الرعب والذهول في نفوس المعارضين، بينما سبق داود فشهد، قائلاً: " أَعْطَتِ السُّحُبُ صَوْتًا. صَوْتُ رَعْدِكَ فِي الزَّوْبَعَةِ. "[١٨]. فعندما يقول القديس يوحنا " في البدء كان **الكلمة والكلمة** كان عند الله وكان **الكلمة** الله"، فإنه يُريد أن يوضح أن ولادة الكلمة، كانت بلا ألم. فقد دعاه **بالكلمة**، حتى أنه من خلال تلك الأمور التي تُثار ضدك، يصيغ ما هو ملائمًا ومناسبًا لك.

لأنه كما أن الذهن عندما يلد الكلمة، لا يتألم، لا يتجزئ، لا ينساب، ولا يعاني من أي نوع من المعاناة الجسدية، هكذا فإن الولادة الإلهية هي بلا ألم، ومن غير الممكن أن يُعبَّر عنها بالكلام، ومن المستحيل أن تُدرَك، لأنها لا تتجزئ، ولا تتوزع.

---

[١٨] مز ٧٧:١٨.

ولكن بالنسبة للهراطقة الجاحدين، غير المؤمنين، الذين يحملون نوايا شريرة، فإنها تتجزئ. لكن لماذا عبَّر القديس يوحنا الإنجيلي عن ولادة الكلمة بهذه الطريقة، ولم يقل: في البدء كان الإبن؟ الجواب: حتى لا تكون ولادة الإبن مرتبطة بالألم. بل دعاه " **الكلمة**"، لكي يشير إلى الولادة التي لا يصاحبها ألم، ولكي لا تعتقد أنه يتكلم عن الكلمة التي تخرج من الفم، أكمل قائلاً: " وكان **الكلمة** اللّه". حتى تدرك معنى ولادة **الكلمة** بلا ألم، ومن ناحية أخرى تُدرك قدرة اللّه غير المحدودة. وبعد ذلك، وبعدما صاغ كل ما هو مُرتبطًا بولادة **الكلمة**، بدأ يتكلم عن القيمة الكبرى التي للخليقة.

الروح يفحص كل شيء

" كل شيء به كان"، ليس كمثل أبناء الهراطقة الذين يُحرفون المعنى، يقول: " كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان". فإن كان هناك شيئًا قد خلق **بالكلمة**، فعلى كل الأحوال، هذا لا يتضمن الطبيعة غير المخلوقة التي للروح. فإن كنت تُعطي إهتمامًا لتعبير " كل شيء" وتتجاهل الطبيعة

المقدسة، فماذا ستقول عندما تسمع الرب وهو يقول: " جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سُرَّاقٌ وَلُصُوصٌ"[١٩]. فهل يُسمي موسى، لصًا، ويدعو الأنبياء سرَّاقًا؟ إذًا لماذا يقول " جميع الذين أتوا قبلي سراق ولصوص؟". المعنى يتضح إذا ما عرفنا لمَن يتوجه بحديثه هذا.

أما الحديث الآن، فهو عن الخليقة، ويقول إن الخليقة كلها تمت، وتحققت **بالكلمة**، لكن هذا لا يشمل الروح الذي يعرف أمور الله، تمامًا كما أن أمور الإنسان لا يعرفها إلا روح الإنسان التي فيه، وهذا ما يقوله الرسول بولس: " لأَنْ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإِنْسَانِ إِلاَّ رُوحُ الإِنْسَانِ الَّذِي فِيهِ؟ هكَذَا أَيْضًا أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ "[٢٠]. فلو أن روحي، مُختلفة عن طبيعتي، وأن روح الله، مختلف عن طبيعة الله، فلماذا يقول الرسول بولس " الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ"[٢١]. لكن الهرطوقي عندما يسمع كلمة " يفحص"، يفهم المعنى بشكل سيء وشرير.

---

[١٩] يو ١٠:٨.

[٢٠] ١كو ٢:١١.

[٢١] ١كو ٢:١٠.

لأنه إن كان الروح يعرف أمور الله، فما كان له أن يفحص ـ هكذا يقول ـ فعملية الفحص تشهد على عدم معرفته. فإن كان الروح القدس يفحص أعماق الله، فإنه يُتَّهم هكذا بعدم المعرفة. لكن هل عندما ترى الله يفحص قلوب البشر، ستنسب له عدم المعرفة؟ إسمع الرسول بولس وهو يتكلم عن الروح القدس، قائلاً: " الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله"، هكذا يتكلم عن الله بكل حكمة، قائلاً: " الَّذِي يَفْحَصُ الْقُلُوبَ يَعْلَمُ مَا هُوَ اهْتِمَامُ الرُّوحِ"[٢٢].

إذًا وفقًا لهذه الرؤية الهرطوقية، فالله لأنه يفحص، فهو لا يعرف أيضًا، وهكذا الروح أيضًا، لأنه يفحص، إذًا فهو لا يعرف. لكن هل تعلم بأنه عندما يقوم أحد بالفحص، فهذا ليس دليلاً على الجهل أو عدم المعرفة، بل دليل على المعرفة؟ لذلك أضاف: " أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله". إنه ينسب للروح المعرفة، أي ليس الفهم والإدراك الطبيعي، بل المعرفة التي هي بالطبيعة.

---

[٢٢] رو ٨: ٢٧.

يمين القوة

وبناء على ذلك لا تُجزّئ الطبيعة غير المجزأة، ولا تقسم الجوهر غير المنقسم، ولتقر وتعترف بهذه القوة التي للثالوث الواحد في الجوهر، فالآب والإبن والروح القدس، هم واحد. بالنسبة للآب، يقول الإبن: "من الآن تُبصرون إبن الإنسان جالسًا عن يمين القوة". لقد تكلَّم عن القوة، وحدَّد المجد الذي سيناله الإنسان، حتى إنك تندهش لهذا المعنى. لقد دعى الله الآب، بالقوة، فعندما تحدث مع قيافا، قال له: " تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، "[٢٣].

أيضًا وُصِف الروح القدس بالقوة، هكذا قال المخلص لتلاميذه: " فَأَقِيمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تُلْبَسُوا قُوَّةً مِنَ الأَعَالِي "[٢٤]. إذًا فلتكونوا أيها الأحباء عارفين، بأن هذه القوة ذاتها، تُوجد في الآب والإبن والروح القدس، وهذا إيماننا الثابت الذي لا يتزعزع. ولا يجب أن تُجزّئ ولا أن تقسم المجد غير المدرك، ولكي تعرف ذلك، لأبد أن تنال الإستنارة

---

[٢٣] مت٢٦:٦٤.

[٢٤] لو٢٤:٤٩.

الروحية. أنظر إلى أبناء النعمة الذين أزهروا بقوة رئيس الكنهة الأعظم، أنظر إلى أبناء النور الذين يركضون نحو بشائر النور. لأنه ينبغي لأولئك الذين وُلدوا ثانية ونالوا إستنارة الروح القدس، أن يركضوا نحو أولئك الذين بَعَثوا المسكونة من جديد.

لنقل نحن أيضًا مع النبي، ومع الرسل أيضًا، " اِرْفَعِي عَيْنَيْكِ حَوَالَيْكِ وَانْظُرِي. كُلُّهُمْ قَدِ اجْتَمَعُوا، أَتَوْا إِلَيْكِ"[٢٥]، وأيضًا: " حَيٌّ أَنَا، يَقُولُ الرَّبُّ، إِنَّكِ تَلْبَسِينَ كُلَّهُمْ كَحُلِيٍّ، وَتَتَنَطَّقِينَ بِهِمْ كَعَرُوسٍ"[٢٦]. إذًا فقد وقف إشعياء ليقول ذلك، لجموع المستنيرين الذين وُلِدوا من الروح القدس، الذين تجددوا جميعًا، الذين تحوّلوا نحو إتجاه واحد، الذين تغيَّروا من مخلوقات أرضية، إلى أيقونات سماوية. ولماذا دُهِلَ إشعياء قائلاً " مَن سمع بمثل هذا الأمر؟ من رأى شبيهًا له؟ أتولد أرض في يوم واحد. أم تخرج أمه في لحظة؟"[٢٧]. لأن تجديد الروح القدس، سريع، ولا

---

[٢٥] إش٦٠: ٤، ٤٩: ١٨.

[٢٦] إش٤٩: ١٨.

[٢٧] إش٦٦: ٨ س.

يتحين الفرص، ولا ينتظر وقتًا طويلاً، ولا ينتظر أجيالاً، بل إن أراد على الفور يلد المهيىء أن يُولد ولادة ثانيةً. لائق بأبناء النور، أن يَعْبروا السوق في موكب: يُمجِدون، ويسبحون ذاك الذي نزل من السماء لأجلهم، حتى أن كل المسكونة تُرفّعه عاليًا، لأنه يليق بإسمه كل رفعة وسمو.

لقد نزل المسيح من السماء، دون أن يتركها، وصعد إلى السماء، دون أن يترك الأرض. لأنه عندما نزل إلى الأرض، لم يترك السماء خالية من وجوده، ولا حينما صعد، ترك الأرض محرومة من رعايته. كان ينبغي لأبناء النور أن يحملوا مصباح الكلمة إلى السوق، وهكذا لن يُهان السر، وسيكون إعلان الحقيقة من خلال أولئك الذين نالوا إستنارة بالروح، موضع تقدير لدى جميع الذين آمنوا، ولهم كرامة في أعين الكافة. كان ينبغي لأولئك أن يرنموا في الميادين والساحات " اَلْحِكْمَةُ تُنَادِي فِي الْخَارِجِ. فِي الشَّوَارِعِ تُعْطِي صَوْتَهَا. تَدْعُو فِي رُؤُوسِ الأَسْوَاقِ، فِي مَدَاخِلِ الأَبْوَابِ"[٢٨].

---

[٢٨] ام ١:٢٠ س.

الذين يحرّفون الكلمة

لننقي الهواء من أناشيد الهراطقة الملوثة، فقد لوَّث أولئك الكافرون بأفكارهم المسمومة، أذهان البسطاء. الآن قد تنقَّى الهواء بالكلمة الحاملة للنور. وكذلك الأرض والسماء، لأنه كما أن السماء والأرض قد تنهَدتا، بسبب شرور الجاحدين الكافرين، هكذا أيضًا قد إبتهجتا ببر أولئك الذين نهضوا وقاموا من موت الخطية. لأن الإنسان عندما يُخطىء، تغضب السماء والأرض، كما يقول إرميا النبي " اِبْهَتِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ مِنْ هذَا، وَاقْشَعِرِّي وَتَحَيَّرِي جِدًّا، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّ شَعْبِي عَمِلَ شَرَّيْنِ "[٢٩]. أرايت كيف إنزعجت السماء والأرض، حين إرتكب البشر الخطية؟ لكن عندما تحوّلوا إلى ممارسة التقوى، إسمع ماذا يقول النبي " تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ، وَابْتَهِجِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ. لِتُشِدِ الْجِبَالُ بِالتَّرَنُّمِ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ عَزَّى شَعْبَهُ"[٣٠]. لتقل الكنيسة التي ترعى كل هذه الجموع، قد بقيت وحدي من قبل، وهؤلاء متى كانوا لي؟ كنت عاقرًا

---

[٢٩] إر ٢:١٢:١٣.

[٣٠] إش ٤٩:١٣.

بلا أبناء، وأرملة، وهؤلاء مَن ولدهم لي؟ وليقل أبناء الكنيسة: أين وكيف يستمر صوت الأنبياء مُدوّيًا، متوجهًا نحو الله، قائلاً " ضَيِّقٌ عَلَيَّ الْمَكَانُ. وَسِّعِي لِي لأَسْكُنَ"[٣١].

لأنه عندما تكون أعمال الخداع في أوج قوتها، عندما تكون هذه المدينة قد رضعت بشراهة من هذه الهرطقة، فهي بهذا تكون قد قادت أبناء الكنيسة إلى الهلاك. وتمامًا مثل الجراد الذي غطَّى كل الأرض، وأكل ثمارها، هكذا هو التعليم الفاسد، قد أكل ثمار التعليم الصحيح والحقيقي، وأيضًا ثمار التقوى. لكن اليوم أيها الأحباء، قد طُرِدَ التعليم الفاسد إلى الخارج، ودخلت النعمة المخلِصة التي وَلَدَت الشعب من جديد، إلى الداخل. يقول الكتاب: " وَأُعَوِّضُ لَكُمْ عَنِ السِّنِينَ الَّتِي أَكَلَهَا الْجَرَادُ، الْغَوْغَاءُ وَالطَّيَّارُ وَالْقَمَصُ "[٣٢].

لماذا تتنازع أيها الهرطوقي، وتتضامن مع اليهود، حتى تُخفي مجد الإبن الوحيد الجنس؟ أولئك اليهود

---

[٣١] إش٤٩:٢٠.

[٣٢] يؤ ٢:٢٥.

حاولوا بكل ما أوتو من قوة أن يُكذِّبوا القيامة، أما أنت فتحاول أن تحجب عنه الأولوهية، ولكن كل ما هو متعلق بك، لا تُعلنه. ولم يستطع اليهود تمييز الحقيقة ، وأنت أيضًا غير متوافق مع التقوى. إسمع ما يقوله النبي " جَلاَلُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ، وَالأَرْضُ امْتَلأَتْ مِنْ تَسْبِيحِهِ"[٣٣]. فالأمر هنا مُتعلق بالثناء على عمل الله وتمجيده، وليس بإدراكه، مُرتبط بالإيمان، وليس بالإنتقاد، مرتبط بالمحبة، وليس بالفحص الباطل، لم نتعلم البحث باطلاً، بل تعلّمنا أن نؤمن فقط. لقد آمنا، وإسترنا، وإعتمدنا، دون أن ننشغل بأعمال غريبة. ينبغي ألاَّ تخدعك الأفكار المنطقية التي للهراطقة، إذ لديهم معمودية، وليس إستنارة، فهم يعتمدون بالجسد، أما نفوسهم فتظل غير مستنيرة. مثل سيمون الذي تعمَّد، ولكنه لم يستنر، هكذا قد لحق به هؤلاء الهراطقة.

إذًا فلتفرح أرواح الرسل الذين إجتذبوا جموع هذا الشعب الكثير، بواسطة عمل الروح القدس. الآن قد تحقق أمام أعيننا ذلك الصوت النبوي القائل " فِي

---

[٣٣] حب٣:٣.

تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَنَّهُمْ لاَ يَقُولُونَ بَعْدُ: تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ"[٣٤]، " ولا يخطر لهم ببال ولا يذكرونه ولا يفتقدونه". لماذا؟ يقول الكتاب: " هأَنَذَا أُرْسِلُ إِلَى جَزَّافِينَ كَثِيرِينَ، يَقُولُ الرَّبُّ، فَيَصْطَادُونَهُمْ "[٣٥]. يا لهذا الصيد العجيب! فذاك الذي تم إصطياده بالأمس، اليوم هو يصيد. لأن الأرض إمتلأت بمجد المسيح، وإمتلأت أرجاء المسكونة بالإيمان، إذًا لا تُهين هذه القيمة التي لتدبير الخلاص. فاليهود هم الذين أشاعوا أن قيامة المسيح لم تحدث، وأن تلاميذه قد أتوا وسرقوه. وهؤلاء اليهود قد عبَّروا عن أفكارهم من جهة قيامة الأجساد، لكن التلاميذ وضَّحوا وشرحوا كل ما يتعلق بهؤلاء في إطار لآهوتي، وبشكل ملائم. واليوم يسود الخداع على هؤلاء اليهود، بينما يُكرز في الكنيسة، بالحياة الأبدية. وإن أردت المزيد، فلديك صورة قديمة:

فعندما صنع أخوة يوسف به شرًا، فإن يعقوب وكل بيته قد حزنوا عليه وإنتحبوا كثيرًا، بإعتباره قد مات، بينما مصر إحتضنته حيًا، وقد مَلك.

---

[٣٤] إر ٣:١٦.

[٣٥] إر ١٦:١٦.

هكذا الوضع الآن بالنسبة للمجمع، وما يرتكبه الهراطقة من تجاوزات تصل إلى حد الهوس، إذ يعتبرون **كلمة** الله، ميتًا. لأن هؤلاء يشكّكون في الإيمان، ويتباحثون في أمور باطلة، ويقضون على التعليم اللاهوتي. وبالنسبة لنا فإننا نؤمن بأن كلمة الله حي، ويجب له السجود الفائق، لأن **كلمة** الله في الحقيقة، كَليّ القدرة، وتعليم الرسل في هذا الشأن واضح، ولا يُقهر. حتى أن صوت الرسول بولس، لم يخفت في الدفاع عن الحقيقة.

تعاليم هرطوقية

ولكن لتخبرني أيها الطوباوي بولس، وأنت تتحرك نحو إعلان الحقيقة، وقد ظهرت غيرتك على الإيمان، وغضبك في مواجهة الهراطقة: كيف قَبِل هؤلاء تعاليم أرسطو؟ وكيف فضَّلوا تعاليم أفلاطون على الأناجيل؟ مَن ألقى بكرازة الإيمان الحقيقي إلى خارج، وحَمَلَ تعاليم الهرطقات إلى داخل الكنيسة؟ أيها الهرطوقي أين تعلَّمت هذه التعاليم الخاصة بغير المولود، والمولود؟ لقد تركت الآب، وتفرغت لتوضيح لقب الإبن، وإعتبرت مكانة الروح القدس

غير جديرة بالإعتبار، وتحوَّلت نحو اللغة الإنسانية. وبالصواب تكلَّم إرميا النبي قائلاً: " بَادَ الْحَقُّ وَقُطِعَ عَنْ أَفْوَاهِهِمْ"[٣٦]. وماذا قال القديس بطرس، حتى نال التطويب من المسيح؟ قال: " أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ!"[٣٧]. وعندما أعلن الآب لبطرس هذه الحكمة، أَلم يفهم؟ وهل لم يكن في إمكان المسيح، أن يقول للرسل عندما أوصاهم أن يُعمِّدوا، إذهبوا وعمدوا الأمم، بإسم غير المولود والمولود؟ لقد وَجَدَ إسمًا في التقليدات السرية أكثر حكمة، أما أنت فتصف الأمور الإلهية بطريقتك، وتُبطل الإيمان، وتبث المباحثات الغبية الباطلة وسط الرعية. لكن لتخف أيها العدو، فبطرس يملك مفاتيح ملكوت السموات، لأنه عندما قال " أنت هو المسيح إبن الله الحي"، أخذ هذه المفاتيح. فأولئك الذين رآهم بطرس يعترفون بالإبن، فتح لهم أبواب ملكوت السموات. لكن الذين وجدهم، يُجدِّفون ويَدعُونه مخلوقًا، أغلق أبواب الكنيسة تمامًا في وجوههم. لأن بطرس لم يأخذ مفاتيح ملكوت السموات منذ البداية، بل

---

[٣٦] إر ٢٨:٧.

[٣٧] مت ١٦:١٦.

بعدما قال: أنت هو المسيح إبن الله الحي"، عندئذ سمع من المسيح " طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْني كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ"[٣٨]. فبعد الإعتراف، يأتي السلطان، وبعد الإيمان، يكون فردوس الكنيسة، والملكوت.

لكن البعض يتجيّش ضد المسيح، والبعض الآخر يتهيأ لمعركة ضد الروح القدس، ولكنهم حين يعترفون بالمسيح، وفي ذات الوقت ينتقصون من عمل الروح القدس ويرفضون إلوهيته، فلن ينتفعوا بشيء على الإطلاق. لأن اليهود أيضًا إعترفوا بالآب، بينما رفضوا الإبن، لذلك فقدوا الحياة الأبدية. فذاك الذي لا ينسب المجد للإبن، هو غير مقبول لدى الآب، ويجب أن تنتبه لهذا بكل تدقيق. لأن أصدقاء أيوب، كانوا يؤمنون بالله، لكنهم إنتقدوا أيوب وبكّتوه، لكن الله لم يقبل أولئك الذين عبرّوا عنه

---

[٣٨] مت١٦:١٧، ١٩.

بكلمات مُناسبة، بل قال " لَمْ تَقُولُوا فِيَّ الصَّوَابَ كَعَبْدِي أَيُّوبَ"[٣٩]. فإن كان الله لم يقبل أصدقاء أيوب عندما تكلّموا ضده، بينما طوَّب أيوب، فلن يقبل أبدًا أولئك الذين يرفضون الإبن، ويعترفون بالآب؟ لأنه يقول: " اَلَّذِي يُبْغِضُنِي يُبْغِضُ أَبِي أَيْضًا"[٤٠]. وهكذا أيضًا، فإن الآب لا يقبل كرامة أو مجدًا من أحد، عندما يُرفَض الإبن، وهكذا فإن الآب والإبن لا يقبلا مجدًا، عندما يُرفَض الروح القدس. لقد نزع الرسول بولس أشواك الهراطقة، الذين لم يقبلوا على الإطلاق بمعمودية الروح القدس، لأن الرسول بولس في أفسس، قد وجَدَ، بعض المعمدين، وقال لهم: " هَلْ قَبِلْتُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمَّا آمَنْتُمْ؟» قَالُوا لَهُ:« وَلاَ سَمِعْنَا أَنَّهُ يُوجَدُ الرُّوحُ الْقُدُسُ"[٤١]، بعد ذلك دوَّى ذلك السؤال الجريء " فَبِمَاذَا اعْتَمَدْتُمْ؟"[٤٢].

فليعلّم القديس بطرس مبادىء الإيمان لأعضاء الكنيسة، وليبتعد الرسول بولس عن مناقشات

---

[٣٩] أيو ٤٢:٧.

[٤٠] يو ١٥:٢٣.

[٤١] أع١٩:٢.

[٤٢] أع١٩:٣.

الهراطقة، ولا يتورط فيها. فمن أين أتى أفنوميوس بهذا اللقب السيء الإسم؟ من أين أتت البذور الهرطوقية؟ حقًا، لقد ضاعت الحقيقة ولم يَعُد لها وجود لدى أولئك الجاحدين، بل وسادت التعاليم الأرسطوتالية (نسبة لأرسطو).

سمات الطبيعة الإلهية

هل تقبل بأن تنطبق سمات الطبيعة الإنسانية على الطبيعة الإلهية غير المولودة، وتدعو الإبن مولودًا، وتَجرَّده من ألوهيته؟ وأنت ماذا تدعو الآب؟ أنا أدعوه بغير المولود، لكن ليس كما تدعوه أنت. أقول عن الآب أنه غير مولود، لأنه لم يُولَد، وأقول عن آدم أيضًا أنه غير مولود، لأنه لم يُولَد، بل خُلق. لا تدع السامعين يستغربون الأمر، فهذه كلها مخلوقات، فالآب غير مولود، ولكن هناك أشياء آخرى كثيرة غير مولودة.

إذًا فكل شيء لا يُولَد، يُقال عنه بأنه غير مولود. ويقال عن كل شيء قد حدث بالفعل، دون أن يكون قد حدث على إطلاقه، غير مولود. فقيامة الأموات هي الآن غير مولودة، رغم أنها حدثت،

لكنها لم تحدث بعد لكل البشر، فهي لم تكتمل، لأنها لم تُولد بعد. غير مولود يُقال أيضًا عن ذلك الذي لم يوجد بعد، ولا يمكن أيضًا أن يوجد، لأن دانيال النبي يقول: " وَصَعِدَ مِنَ الْبَحْرِ أَرْبَعَةُ حَيَوَانَاتٍ عَظِيمَةٍ، هذَا مُخَالِفٌ ذَاكَ. الأَوَّلُ كَالأَسَدِ وَلَهُ جَنَاحَا نَسْرٍ"[٤٣]. أخبرني أين رأيت أسدًا له جناحا نسر؟ وأين رأيت وحشًا له أظافر حديدية، وأسنان نحاسية؟[٤٤] هذه الكائنات، تشكّلت أمام النبي في رؤية، وبالطبع لم يكن هناك مثل هذه الكائنات، ولن تكن مثل هذه الوحوش، غير مولودة، ودون أن تكون مقصودة على الإطلاق، فقط قد أعطى لها إسمًا. وأية نساء تلك التي صارت بأجنحة مثل أولئك اللآتي رآهنَّ زكريا ولهن أجنحة؟[٤٥] أين رأيت أسدًا مُنقَّطًا وله أجنحة؟ كل هذا فسّره المطوب دانيال. أيضًا أين رأيت وحشًا مصنوعًا من ذهب، وفضة، ونحاس، وحديد، وقرمز، مثل الذي رآه دانيال؟ كل واحد من هؤلاء، غير مولود، لأنه لم يوجد قط، هذه

---

[٤٣] دا٧:٤.٣.

[٤٤] دا٧:١٩.

[٤٥] زك٥:٩.

الكائنات قد صار لها شكلاً وكيانًا في الرؤية فقط. إذًا لا تتصور أنك تمنح الآب شيئًا عظيمًا، لمجرد أن تدعوه غير مولود، لأن لقب غير المولود هو كثير ومتنوع. أعرف أن الكلام يحمل فكرًا عميقًا، لكن لكي أَنقض هذه الشرور الهرطوقية، فقد طرحت هذا الفكر على هذا النحو. فذاك الذي لم يُولد، يقال عنه إنسان غير مولود. وإذا كان لم يُولد، فبماذا يُدعى؟ سأذكر لك إنسانًا لم يُولد. يقول المخلص عن يهوذا الخائن: " وَيْلٌ لِذلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي بِهِ يُسَلَّمُ ابْنُ الإِنْسَانِ. كَانَ خَيْرًا لِذلِكَ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُولَدْ!"[٤٦]. وكيف كان خيرًا له لو لم يولد؟ لأنه ليس هناك خيرًا، أو شرًا لذلك الذي لم يُولَد. وسليمان يطوب الرجل الذي لم يُولد، قائلاً: " وَخَيْرٌ مِنْ كِلَيْهِمَا الَّذِي لَمْ يُولَدْ بَعْدُ"[٤٧]. لكن إن كان لم يُولد، فكيف يكون مُطوبًا أو هناك خيرًا له؟ هكذا يقول خير للإنسان الذي لم يُولَد.

وهكذا فإن لقب غير المولود، لا يُقدم تفسيرًا للطبيعة الإلهية، ولا أيضًا كما تدَّعي أنت، يعني

---

[٤٦] مت٢٦:٢٤.

[٤٧] جا٤:٣.

جوهرًا غير مولود، ولا يحمل كرامة للآب، طالما أنه بحسب النبي، هناك أسماء أخرى غير مولودة ومولودة أيضًا. ولكنه يُظهر فقط ذلك الذي لم يوجد، لنقل لهؤلاء مع داود النبي " تكلَّم معي مخالفو الناموس بكلام هذيان. لكن ليس كناموسك يارب"[٤٨]. فليعلو صوت بطرس، ويثبت تعليم بولس القائل: " وَمِنْهُمُ الْمَسِيحُ حَسَبَ الْجَسَدِ، الْكَائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلهًا مُبَارَكًا إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ"[٤٩]. لنسجد ونسبح ونمجد الروح القدس. لنقدم تعليمنا اللاهوتي على قاعدة الأسفار المقدسة، سواء قَبِل الأعداء هذا، أم رفضوا، ويشهد الرسول بولس على رأينا هذا، قائلاً: " أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ"[٥٠]. إذًا المعبد شيء، والذي يسكن فيه هو آخر. ألم تسمع القديس بطرس يقول: " يَاحَنَانِيَّا، لِمَاذَا مَلأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ"، ثم أكمل " أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللهِ". لكن الهراطقة يقولون إنه لم

---

[٤٨] مز ١١٩:٨٥ (س).

[٤٩] رو ٩:٥.

[٥٠] ١كو ٣:١٦.

يدعوه روح الله، بل فقط لأن الروح أُرسل من الله. والحقيقة إن الذي يُهين الروح، يهين الله الذي أرسله. إن هذا الهرطوقي مختل العقل، لأنه لا توجد أي تسمية تليق بذاك الجاحد الكافر، سوى تسمية المختل العقل، لأنه إن كانت الإهانة موجهة إلى الروح القدس، فإنها ستوجه بالتالي إلى الله، لأنه هو الذي أرسله، هذا ما قاله القديس بطرس: " أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللهِ "[٥١].

إذًا لنحتفل معًا، بإبتهاج، ولا نعطي مكان لأبناء القفر، الذين رفضوا عمل الروح القدس في نفوسهم، فتلك الهرطقات هي نتاج فكر إنساني مُنحرف، وليست من الله. لنرفع طلباتنا وتضرعاتنا إلى الله، حتى يكون هو الأب، والمعلم لنا، لكي نثبت في الإيمان الأرثوذكسي، في إسم ربنا يسوع المسيح الذي يليق به المجد والسلطان مع الآب والروح القدس إلى الأبد آمين.

---

[٥١] أع٥:٣، ٤.

فهرس الآيات الواردة بالنص

أولاً: العهد القديم

سفر ايوب:

أيو ٤٢: ٧..... ٦٤

سفر المزامير:

مز ٧٧: ١٨..... ٥٠

مز ١١١: ١٠..... ٢١

مز ١١٩: ٨٥ س..... ٦٨

سفر الأمثال:

أم ١: ٧..... ٢١

أم ١: ٢٠ س..... ٥٦

أم ١٦: ٧ س..... ٢١

سفر الجامعة:

جا ٤: ٣..... ٦٧

سفر إشعياء:

إش ٤٩: ١٣..... ٥٧

إش ٤٩: ١٨..... ٥٥

إش ٤٩: ٢٠..... ٥٨

إش ٦٠: ٤..... ٥٥

إش ٦٦: ٨ س..... ٥٥

سفر إرمياء:

إر ٢: ١٢.١٣..... ٥٧

إر ٣: ١٦..... ٦٠

إر ٧: ٢٨..... ٦٢

إر ١٦: ١٦..... ٦٠

سفر دانيال:

دا ٧: ٣.٤..... ٦٦

دا ٧: ١٩..... ٦٦

سفر يوئيل:

يؤ ٢: ٢٥..... ٥٨

سفر حبقوق:

حب ٣: ٣..... ٥٩

سفر زكريا:

زك ٥: ٩..... ٦٦

ثانيًا العهد الجديد:

انجيل متى:

مت ١٦: ١٦..... ٦٢

مت ١٦: ١٧.١٨..... ٦٣

مت ١٦: ١٧.١٩..... ٦٣

مت ٢٦: ٢٤..... ٦٧

مت ٢٦: ٦٤..... ٥٤

انجيل مرقس:

مر ٣: ١٧..... ١٧

إنجيل لوقا:

لو ٢٤: ٤٩..... ٥٤

إنجيل يوحنا:

يو ١:١.....١٧،
٢٨، ٤٦

يو ١:١.٢.....٣٠

يو ١٠:٨.....٥٢

يو ١٥:٢٠.....٦٤

اعمال الرسل:

أع١٩:٢.....٦٤

أع١٩:٣.....٦٤

أع٥:٤.٣.....٦٩

الرسالة إلى اهل رومية:

رو٩:٥.....٦٨

رو٨:٢٧.....٥٣

الرسالة الآولى إلى كورنثوس:

١كو٢:١٠.....٥٢

١كو٢:١١.....٥٢

١كو٣:١٦.....٦٨

١كو١٣:١.....٢٥

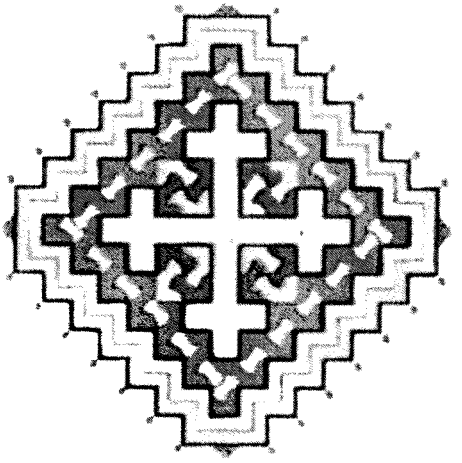

" في البدء كان الكلمة" يالها من معجزة! كيف ارتبطت هذه الكلمات، الواحدة مع الأخرى بالتساوي. كلمة "كان" لها نفس القوة مع كلمة "في البدء". فإن لم تبتعد عن كلمة "كان"، فسيمكنك حينئذٍ أن تمنع الأفكار الخبيثة من العبور إلى ذهنك. لأنه كما أن الملاحين أو البحَّارة، يزدرون بالأمواج الهائجة حين يعتمدوا على هلبين أو مرساتين ثابتتين، هكذا أنت أيضًا ستسخر من الإضطرابات الخبيثة التي تنشأ بواسطة الأرواح الشريرة - التي تؤدي إلى زعزعة إيمان الكثيرين- إن كنت تهتدي إلى الميناء المتحصن بيقين هذه الكلمات.

• المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية ت: ٢٢٤١٤٠٢٣.
E-mail: opcc2007@yahoo.com Website: www.patristiccairo.com

سعر النسخة:
١٥,٠٠ جنيه